دانيئيل روزنبرغ(*)

الاستراتيجية «الثقافية»
لليمين الإسرائيلي الجديد

بات التحول في اليمين الإسرائيلي موضوعا للجدل والبحث في المجتمع الإسرائيلي، وفي أوساط الأكاديميين. ورغم التزامها بالرموز القديمة وزخارفها، يبدو أن الأحزاب السياسية والمؤسسات التي تشكل قلب «الخط الأيديولوجي المتشدد»، تختلف بشكل كبير عن تلك الأجسام المؤسسة للصهيونية التصحيحية (الشعبية)، وعن الجناح اليميني الذي وصل إلى السلطة عام ١٩٧٧، ولا زال يمسك بها بشكل متواصل تقريبا. يبدو أن التغيير قد حصل غالبا على مستوى الأفراد والمؤسسات- كالأفول الفعلي لكل المجلات العقائدية السياسية، واختفاء أسماء مثل بيغن، جابوتنسكي، من قيادة الليكود (سواء أكان ذلك بالمعنى السياسي أم الشخصي)- كما حصل ذلك أيضا في المستوى الأيديولوجي.

يمكن رصد هذا التحول الحاسم من خلال تتبع الموقف من كل ما يتعلق بمكانة الأرض وأهميتها في أيديولوجيا اليمين المعاصر، منذ بداية انشغال الفكر الصهيوني بمسألة الأرض. لقد برز ذلك في التسميات القديمة التي تعود إلى أسماء القدس القديمة- صهيون، مرورا بالجدل حول الأهداف الجغرافية للحركة (فلسطين مقابل أوغندا)، وصولا إلى النقاشات التفصيلية حول قضايا شراء الأرض والاستيطان. كان هذا الانشغال في موضوع الأرض سائدا في الجناح اليميني للحركة الصهيونية، والذي أصبح يعرف بالصهيونية التصحيحية. تبنى هؤلاء التصحيحيون الملتزمون بحماس لفكره (أرض إسرائيل الكبرى) (ايرتس يسرائيل هشليماه) قصيدة جابوتنسكي (شرقي نهر الأردن) باعتبارها نشيداً

(*) أستاذ جامعي إسرائيلي.

رغم أنهم في اليمين- بالمجمل- لم يؤيدوا عملية أوسلو صراحة، فقد كان هناك ميل لقبولها أو على الأقل التعامل معها على أرضية كونها واقعا سياسيا، فحتى حادث اغتيال اسحق رابين على يد متطرف متدين عام ١٩٩٥، وانتخاب بنيامين نتنياهو على قاعدة حملة المعارضة الشديدة لأوسلو، لم يكن بمقدوره أن يزعزع المبادئ الأساسية للاتفاقات: الاعتراف بالحكم الذاتي الإداري والسياسي للسلطة الفلسطينية في غربي نهر الأردن وغزة.

وطنياً، ونسجوا العلم، على شاكله الحدود القديمة لمملكة إسرائيل ويهودا.

ترجمت هذه العقيدة الأيدولوجية إلى سياسة عقب انتصار الليكود في انتخابات عام ١٩٧٧، فمناحيم بيغن الذي أقسم أن لا يتنازل عن أي جزء من (يهودا والسامرة وقطاع غزة)، ترجم هذا الكلام إلى واقع، لقد طبّق قَسَمه بالزيادة الدراماتيكية لمشاريع الاستيطان في الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧: ففي عام ١٩٨٤ تضاعف عدد المستوطنين ثلاث عشرة مرة من ٣٢٠٠-٤٤٠٠٠. وفي عام ١٩٨٣ ذهب عالم الاجتماع باروخ كيمرلينغ بعيدا ليعرف الحركة الصهيونية ونتيجتها النهائية (دولة إسرائيل) بـ«مجتمع مستوطنين دون حدود» نظراً للعلاقة الحاسمة والوجودية التي أولتها الصهيونية للأرض، واهتمامها المادي بها.

جرت تحولات منذ التسعينيات في هذا الموقف وصولا إلى حدّ الانقلاب. فعملية «أوسلو» مترافقة مع تغيرات اجتماعية وسياسية وأيدولوجية أثرت على المجتمع الإسرائيلي في تلك الفترة وضعت مفهوم (أرض إسرائيل) في أسفل القائمة بالنسبة لمكانته في الفكر والممارسة الصهيونية السائدة. فقد دلل توقيع اتفاق أوسلو عام ١٩٩٣، الذي اقتضى- ربما ما هو أهم من الاتفاق في جوهره- اعترافا إسرائيليا بكيان عربي فلسطيني له قيادته السياسية ومؤسساته الخاصة، على نهاية المفهوم الصهيوني الذي يقوم على مبدأ احتكار الأرض بين النهر والبحر. كما أن إنجاز التطبيع الدبلوماسي القانوني مع الأردن عبر اتفاق وقع في السنة التالية لأوسلو، اقتضى أيضا الاعتراف بالحكم الهاشمي على شرقي الأردن، ووضع حدّا لمفهوم «إسرائيل الكبرى»، حلم «التصحيحيين» القديم.

أوسلو: انقلاب مفاهيمي يمس علاقة الصهيونية بالأرض.

رغم أنهم في اليمين- بالمجمل- لم يؤيدوا عملية أوسلو صراحة، فقد كان هناك ميل لقبولها أو على الأقل التعامل معها على أرضية كونها واقعا سياسيا، فحتى حادث اغتيال اسحق رابين على يد متطرف متدين عام ١٩٩٥، وانتخاب بنيامين نتنياهو على قاعدة حملة المعارضة الشديدة لأوسلو، لم يكن بمقدوره أن يزعزع المبادئ الأساسية للاتفاقات: الاعتراف بالحكم الذاتي الإداري والسياسي للسلطة الفلسطينية في غربي نهر الأردن وغزة.

كان واضحا تراجع عقيدة إسرائيل الكبرى في الحيز الإسرائيلي العام، وذلك من خلال عدة تطورات في تلك الفترة، منها التهميش التدريجي لرموز سياسية متعلقة بالمفاهيم «التصحيحية» حول السيادة على الأرض ضمن الجناح اليميني لليكود (غيئولا كوهين، بنيامين بيغن هما أمثلة واضحة)، كما أن تغير المواقف لدى البعض الآخرين أمثال (دان ميريدور، وميخائيل إيتان)، شكلا مؤشرات أولية على ذلك، وعلى مستوى أكثر عمومية أصبحت عقيدة «إسرائيل الكبرى» تقل

يمكن إعادة جذور اليمين الإسرائيلي الجديد إلى مجلة تدعى «نتيف» باعتبارها «مجلة للثقافة والأدب» في توجهها العام. يمتد مسار ظهور هذه المجلة من نهايات الثمانينيات من القرن الماضي حتى عام ٢٠٠٨، حيث كانت تصدر عن مركز أرئيل لأبحاث السياسات، ويحررها آرييه ستاف باعتباره ناقدا أدبيا وشاعرا. رغم أن المجلة لم تكن ذائعة الصيت، إلا أن بعض كتابها كانوا من القادة السياسيين ورجال الدولة، عدا عن عدد من شخصيات مثقفة أخرى مشهورة تتعاطف مع اليمين السياسي.

أهمية بالتدريج، وهناك آراء وسمتها بأنها «يوتوبيا غير قابلة للتحقيق»، وتم رثاؤها (وحتى الاحتفال) بـ «زوال حلم»، أو أنها اصبحت مبتذلة في عقد التسعينيات.

ما الذي تبقى من أيديولوجيا اليمين الإسرائيلي إذا تم التنازل عن مسألة الأرض؟ ما هي الدعائم الجديدة للسياسة الصهيونية كما فهمها العقائديون الجامدون من الساسة اليهود؟ برز هذا السؤال في قلب الجدل منذ الثمانينيات وما بعد، نوقش وتم تداوله حتى انفجر في العقدين التاليين. كان الجناح اليميني الجديد الذي صعد إلى الواجهة في نهايات العقد الأول من القرن الحادي والعشرين معززا بمطالب تختلف قليلا عن اليمين القديم، رغم أن طاقاته الرئيسية قد استمدها من المنبع الأيديولوجي نفسه.

يمكن رؤية اليمين الإسرائيلي الجديد، ليس في نشاط الطبقة السياسية فقط، بل عبر خليط من الأجسام غير البرلمانية، المجلات والحركات الاجتماعية. إن انبثاقه لم يتطلب تغييراً كبيرا في أجندة اليمين غير المتدين، لكن التغيير حصل في الموضوعات التي جرى التركيز عليها: من فكر مسكون بالسيادة على الأرض يركز على قضايا الدفاع والأمن إلى البدء في الانشغال بقضايا أعمق حول المجتمع والثقافة، في وقت يُعرف أو (أنه يعرف ذاته) كـ (نيو صهيوني)، رغب هذا النزوع الجديد بإحياء «القيم» الصهيونية أكثر من المؤسسات، والتركيز على الحالة الفكرية أكثر من السياسات.

يمكن إعادة جذور اليمين الإسرائيلي الجديد إلى مجلة تدعى «نتيف» باعتبارها «مجلة للثقافة والأدب» في توجهها العام. يمتد مسار ظهور هذه المجلة من نهايات الثمانينيات من القرن الماضي حتى عام ٢٠٠٨، حيث كانت تصدر عن مركز أرئيل لأبحاث السياسات، ويحررها آرييه ستاف باعتباره ناقدا أدبيا وشاعرا. رغم أن المجلة لم تكن ذائعة الصيت، إلا أن بعض كتابها كانوا من القادة السياسيين ورجال الدولة، عدا عن عدد من شخصيات مثقفة أخرى مشهورة تتعاطف مع اليمين السياسي. صُنفت «ناتيف» في سنواتها المبكرة بأنها ذات خط تحريري مزدوج، فقد كرس جزء من الإصدار لمسألة الأمن والسياسة: الشؤون العسكرية، الاستراتيجية، الاقتصاد والديمغرافيا وغير ذلك، أما الجزء الآخر فقد كان مكرسا للغة و للشعر المترجم، المراجعات الأدبية والقصص القصيرة وموضوعات أدبية أخرى.

ولأنها كانت محدودة التوزيع، وغير مدعومة من أي هيئة رسمية، نظرت نتيف إلى نفسها كمؤسسة ثقافية معارضة، خاصة خلال التسعينيات، حيث بدأت تتبنى نغمة انتقامية، مظهرة مناورات حكومة رابين السياسية باعتبارها تجليا لأزمة في القيم. لقد انتقدت بحدّة توجه «ما بعد الصهيونية» ونظرت إليها باعتبارها نتاجا للفراغ الأيديولوجي الذي أصاب دولة إسرائيل منذ قيامها. واعتبر التيار العامل في المجلة أن المؤسسة الإسرائيلية، ما هي إلا نتاج لهرطقة راديكالية واشتراكية، تستمد مرجعيتها من المصادر الثقافية اليهودية، ولكنها تقوم على الدسائس الصغيرة من جهة والعمى الأيديولوجي من جهة أخرى.

ويجري توجيه اللوم للصهاينة الاشتراكيين- خاصة قيادة مباي- على تبديد الفرص الاستراتيجية، وينظر لهم كمسؤولين عن نشوء ما بعد الصهيونية الحديثة، سواء من خلال الالهام المباشر أو من خلال عدم القدرة على بناء عائق أيديولوجي أمامهم.

في مقالة نشرت في العدد الأول من المجلة عام ١٩٨٨ للمؤرخ التصحيحي الشهير يوسيف نيدافا، خاطب الكاتب «اليمين في

منبر آخر لليمين الإسرائيلي الجديد كانت (تحليت) (Tchelet) والتي نشطت بين ١٩٩٦ و٢٠١٢. اختلفت (تحليت) أو (ازوري في طبعتها الإنكليزية) عن نتيف، حيث ارتبطت ماليا ولوجستيا بمركز شاليم، وهو دار نشر إسرائيلية رئيسية، حيث أعطى المركز ليس فقط انتشارا أوسع لها، بل أتاح لها الوصول إلى البنود التي تتطلب الموارد مثل النشر المشترك، والترجمة . لقد تميزت «تخيليت» في المواضيع التي غطتها: فحيث اهتمت نتيف بالتحليل الاستراتيجي، ركزت تحليت على قضايا الثقافة والمجتمع ،

نواة الحركة العمالية»، وعالج الإصرار على القيم اليسارية والليبرالية في إسرائيل. ورأى نيدافا أن أيديولوجيا اليسار لا زالت تشكل جزءا ورزمة من المجتمع الإسرائيلي حتى في أواخر الثمانينيات، ووصفهم بـ»الخطيئة الاصلية» للصهيونية العمالية، البذرة التي نشأ منها المستوطنون الأوائل في الهجرة الأولى، أصيبت بها إسرائيل إلى اليوم، ومنعت من اهتزاز المؤسسات الاشتراكية. نجحت «ثورة» عام ١٩٧٧، حيث هزم فيها اليسار سياسيا فقط، في «إعادة ترتيب الأثاث داخل البيت» ، لكنها فشلت في «نقل البيت»، وبالتالي كانت محدودة .

ظهر رجع صدى الفشل السياسي للجناح اليميني للصهيونية في إصدارات نتيف، وأصبح سائدا خاصة في مرحلة ما بعد توقيع أوسلو . لقد أظهرت المجلة اتفاقات أوسلو باعتبارها تحولا عميقاً، ليس فقط في مجال الأمن والاستراتيجية، ولكن في مجال السياسات الداخلية: ففي مقالة نشرت في المجلة عام ١٩٩٤ من قبل عالم السياسة مارتن شيرمان، وصف الكاتب أوسلو كـ «تحول عميق» «لقواعد اللعبة»، تم فرضه «بغطرسة ووحشية» من قبل «حكام الشعب». وزعم مقال آخر كتب عام ١٩٩٧ ليوسف بن شلومو أن اتفاقات أوسلو تفضي إلى استقالة دولة إسرائيل من «أسسها الاخلاقية».

بنفس الطريقة، بدأ الجانب «الشعري» يبرز انتقاميا بشكل مشابه للسياسي، ففي مقالة نشرت عام ١٩٨٩ للكاتب والناقد موشي شامير، طرحت السؤال: «هل لا زال الأدب العبري صهيونيا؟». لقد قارنت المقالة بين الكتاب العبريين من الفترة الصهيونية المبكرة، وفترة الخمسينيات إلى أولئك الذين يكتبون في أواخر النصف الثاني من القرن العشرين، ففي حين لم يكن الروائيون والشعراء الأوائل سياسيين دائما، وبشكل صريح مباشر، بالرغم من ذلك فقد كانوا يتميزون بوعي قومي، ترك أثره على جمالياتهم بشكل وجودي، فقد كان «مصير الشعب» مرتبطا بـ «مصير الفرد»، وبالمقابل فقد وصف شامير الأدب المعاصر بأنه متملل قيميا، يفرط في الذاتية الطائشة.

بالرغم أن نتيف استضافت في مقالاتها رسميين إسرائيليين من مراتب عالية (بما فيهم أعضاء مجلس وزراء قائمون أو سابقون)، ورغم طول فترة نشاطها نسبيا، لا يمكن اعتبارها قصة نجاح. لقد اعترف آرييه ستاف في الإصدار الأخير لنتيف بالفشل في ترك أثر له أهمية في المجتمع الإسرائيلي والسياسة. فقد كان جلّ أهميتها ينبع من كونها أسهمت في تأسيس وتشكيل أوليات ما أصبح يعرف بالمقاربة الانتقامية لليمين الجديد: من خلال الاعتراف بفشل اليمين في التأثير على السياسة بشكل قوي خاصة في مجال عملية أوسلو ، إلا أنها وضعت الاستراتيجية المختلفة التي يجب على اليمين تبنيها في السنوات التالية.

منبر آخر لليمين الإسرائيلي الجديد كانت (تحليت) (Tchelet) والتي نشطت بين ١٩٩٦ و٢٠١٢. اختلفت (تحليت) أو (ازوري في طبعتها الإنكليزية) عن نتيف، حيث ارتبطت ماليا ولوجستيا بمركز شاليم، وهو دار نشر إسرائيلية رئيسية، حيث أعطى المركز ليس فقط انتشارا أوسع لها، بل أتاح لها الوصول إلى البنود التي تتطلب الموارد مثل النشر المشترك، والترجمة . لقد تميزت «تخيليت» في المواضيع التي غطتها: فحيث اهتمت نتيف بالتحليل الاستراتيجي، ركزت تحليت على قضايا الثقافة والمجتمع ، بما فيها مقالات من كتاب أوروبيين أو أميركان وفيما يتعلق ببلدانهم.

بعكس «نتيف» التي عرضت مقالات لأعضاء في مؤسسة الدفاع والسياسة، توجهت «تحليليت» للجميع، لكنها تجاهلت تلك النوعية من المحاور مفضلة غالبا وحصريا تحليلا ثقافيا، ففي افتتاحية الإصدار الأول رفض حازوني التعامل مع أوسلو باعتبارها مجرد «إنجاز سياسي»، بل كان عبارة عن عملية «يمكن تشخيص نتائجها ومعانيها على المستوى الثقافي فقط».

فرق آخر يمكن تحديده في مجال مقاصد المجلتين، فبعكس نتيف التي استقرت في اللغة العبرية والثقافة الإسرائيلية وتجذرت فيهما، تم النظر إلى تحيليت كفرع محلي لحركة المحافظين الجدد الأميركية، ولم تكن تحت الهام الفكر الصهيوني التصحيحي بقدر ما ألهمها ايرفنج كريستول، لكن نتيف وبرغم نقدها المثابر للسياسة والمجتمع الإسرائيليين بقيت موالية وحتى مكرسة للثقافة والإبداع الإسرائيليين. في الوقت الذي رفعت تحيليت راية متمردة على الثقافة الإسرائيلية بشكل عام، وعلى اليسار الإسرائيلي ما «بعد الصهيوني». فعلى سبيل المثال: في مقال كتبه أحد مؤسسي تحيليت (يورام حازوني)، نجد نقدا قاسيا ليس لليسار فقط، بل أيضا لما يسمى «المعسكر الوطني»، «كمجردين من أي تقاليد فكرية أو ثقافية تستحق أن تسمى». في الإصدار الثاني وصف حازوني «الثقافة» الإسرائيلية بأنها «بؤرة من التخريب وكراهية الذات» والتي تعتبر «مغثية بشكل خاص لأنها ما بعد صهيونية».

قامت مجلة نتيف عام ١٩٩٧– في حدث يمكن اعتباره «تسليم الراية»– بمراجعة للعدد الثاني من «تحيليت» والذي نشر قبل عام. تركزت المراجعة على مقال حازوري سالف الذكر، انتقدت نتيف نغمته اللاذعة وانتقدت بحدّة بعض فرضياته بالنسبة لتماثل الصهيونية المبكرة مع الجناح العمالي اليساري، وإذا وضعنا فرضية «نتيف» (الجناح اليساري لما بعد الصهيونية كمغتصب للقيم الصهيونية التاريخية) مقابل فرضية تحيليت المؤسسة حديثا (ما بعد الصهيونية هي ثمرة الصهيونية التاريخية)، فإن المراجعة توضح التوجه الجديد بدعة تحيليت، وبشكل خاص الطبيعة الراديكالية لطروحاتها ضمن أجواء مفكري اليمين الإسرائيلي. وإذا هدفت نتيف إلى الحفاظ على أو إعادة تأسيس نواة عامة للقيم الصهيونية التي أصابها الصدأ عبر السنوات بسبب هيمنة الجناح اليساري ، فقد ذهبت تحيليت نحو تفكيك المؤسسات القائمة لصالح مؤسسات أكثر أيديولوجية.

رغم النغمة الاستعلائية للمراجعة، يمكن رؤية العلاقة بين نتيف وتحيليت باعتبارها علاقة تجاوز أكثر من تضاد. لقد التقطت تحيليت بعض الافتراضات التي وضعتها نتيف حول الهيمنة الثقافية الاجتماعية لليسار وقامت بتجذيرها. فأزمة إسرائيل لا تمثل أزمة الصهيونية التاريخية فحسب، بل أيضا أزمة الحضارة الغربية والديمقراطية القومية، إنها لا تنعكس في السياسة والمجتمع وثقافة النخبة فحسب، بل في التربية والثقافة الشعبية وحتى في الأدب والفن. وعلى المنوال نفسه، كانت الدعامات السياسية لـ «تحيليت» مختلفة، فلم تستهدف تحيليت ضم الضفة الغربية لنهر الأردن ولا ذكرت موازنة الدفاع، بل نادت بثورة ثقافية، وإعادة تقييم شاملة للقيم في المجتمع الإسرائيلي لصالح اتجاه محافظ ومتشدد، قيمٍ سلطوية، ويهودية، تقليدية.

بعكس «نتيف» التي عرضت مقالات لأعضاء في مؤسسة الدفاع والسياسة، توجهت «تحيليت» للجميع، لكنها تجاهلت تلك النوعية من المحاور مفضلة غالبا وحصريا تحليلا ثقافيا، ففي افتتاحية الإصدار الأول رفض حازوني التعامل مع أوسلو باعتبارها مجرد «إنجاز سياسي»، بل كان عبارة عن عملية «يمكن تشخيص نتائجها ومعانيها على المستوى الثقافي فقط».

وفي عدد عام ١٩٩٨، حلل أمنون لورد عملية أوسلو من خلال عملية التغير الثقافي، عازيا العملية بشكل خاص إلى صداقة شمعون بيريس مع دعاة السلام من المفكرين والصحافيين. وبعد

نتنياهو إلى خارج الحلبة عام ١٩٩٩.

عامين شجب آساف سيغيف (رئيس تحرير المجلة) في مقال مطول الانحطاط المطلق للمجتمع الإسرائيلي وثقافته، وفي مقال بعنوان «ديونيسيس في صهيون»، [١] وصف سيغيف «الفراغ الروحي الذي خلفه تلاشي الصهيونية القديمة»، والتي لعبت دور المنصة لانبعاث «الصنمية الجديدة المنسلبة». عليه فإن المخاطر لم تكن مجرد سياسية أو حتى أخلاقية، بل حضارية.

وحيث أن تحليلت كانت نشرة نخبوية في خصائصها البارزة، وأن انتشارها كان بعدد قليل من النسخ، وتحتوي مقالات تفوق على ٢٠٠٠ كلمة يكتبها في الأغلب أكاديميون إسرائيليون أو من الخارج، كانت أجندتها مصاغة بتوجه نحو تأسيس نخبة يهودية– إسرائيلية جديدة في عالم الأكاديميا، القطاع العام، وتقاطعات أخرى للسلطة والمعرفة. كانت هذه المجلة التي أغلقت أبوابها عام ٢٠١٢ أكثر تركيزا في جهودها وأكثر تنوعاً في مصادرها: لقد تلازم نشاطها بنشر عديد من الأعمال في الفلسفة السياسية، مدعومة من مركز شاليم، بما فيها الأعمال الكلاسيكية لتوماس هوبز، جون لوك ...إلخ.

كان بنيامين نتنياهو خلال التسعينيات ساعي بريد لشاليم وتحيليت. كانت الدورة الأولى لرئاسة نتنياهو للحكومة عام ١٩٩٦ بقدر كبير نتيجة لتجارب في العملية الانتخابية (التي جرى التخلي عنها ٢٠٠٣) التي كانت مختلفة بوضوح عن لاحقاتها، والتي أظهرت تغيرا ليس فقط في السياسات الانتخابية، بل أيضا في الجناح اليميني بشكل كبير. لقد تميز نتنياهو ١٩٩٦ بنغمة «شعبوية» واضحة: عبر لوم «النخب» وبشكل خاص أولئك الذين يعملون في الإعلام، الأكاديميا وفي المحاكم، لقد كان نتنياهو قادرا على تصليب واستجماع قاعدته مستخدما موضوعات خارج الدوائر الأيديولوجية المباشرة للجناح اليميني مثل الأمن، الدفاع والسياسة الاقتصادية الليبرالية.

لقد ثبت أن ذلك كان كارثيا على نتنياهو والليكود الذين هزموا بشكل ساحق عام ١٩٩٩، حيث فقد الحزب أكثر من ثلث مقاعده في الكنيست. فنتنياهو الذي يتصرف بعدوانية وطيش (معروف أنه تم تصويره وهو يدفع مؤيديه لإنشاد أغنية مسعورة «إنهم خائفون» قاصدا الإعلام واليسار)

بـدأت استراتيجية «إم ترتسو» (وهـي اسم الجزء الأول من مقولة ثيودور هيرتسل «إذا أردتها، فهي ليست حلم»)، نشاطها عام ٢٠٠٧، وبالتحديد بعد الحرب اللبنانية الثانية، هذه الحرب التي اعتبرت كارثة وهزيمة والتي قادت إلى (أزمة سياسية واسعة)، شكلت إحدى نقاط الانطلاق الرئيسية لهذه الاستراتيجية، لقد هاجمت هذه الحركة التردد الاستراتيجي، وفقدان القدرة على إدارة العملية العسكرية، لكنها لم تقم بانتقاد مباشر لأصحاب المناصب السياسية والعسكرية، بل إنها وجهت سهامها للمواقف الذهنية مثل «التذبذب»، «الرعب» الذي أصاب المجتمع الإسرائيلي.

تمت السخرية منه في الإعلام الإسرائيلي ليتحول إلى المنفى السياسي، ليعود ويظهر مرة أخرى بعد سنوات. بينت هذه الهزيمة فشل استراتيجية المواجهة المباشرة التي اعتنقها اليمين الجديد، وبغض النظر عن قوته وحزمه لم يستطع نتنياهو قيادة التحول المنشود: لم يستطع تحطيم «النخب»، ولا استطاع اغتصاب عروشهم.

شهد العقد التالي تغيراً في استراتيجية اليمين الجديد، من مواقف المواجهة إلى استراتيجية أكثر تراكمية، تنطلق من القاعدة إلى القمة أكثر من الاعتماد على الشخص حتى لو كان قائدا قويا وحازما. وخلال النصف الثاني من هذا العقد برزت العينة الأكثر حدة لهذه الاستراتيجية في شكل «إم ترتسو».[٢]

بدأت استراتيجية «إم ترتسو» (وهي اسم الجزء الأول من مقولة ثيودور هيرتسل «إذا أردتها، فهي ليست حلم»)، نشاطها عام ٢٠٠٧، وبالتحديد بعد الحرب اللبنانية الثانية، هذه الحرب التي اعتبرت كارثة وهزيمة والتي قادت إلى (أزمة سياسية واسعة)، شكلت إحدى نقاط الانطلاق الرئيسية لهذه الاستراتيجية، لقد هاجمت هذه الحركة التردد الاستراتيجي، وفقدان القدرة على إدارة العملية العسكرية، لكنها لم تقم بانتقاد مباشر لأصحاب المناصب السياسية والعسكرية، بل إنها وجهت سهامها للمواقف الذهنية مثل «التذبذب»، «الرعب» الذي أصاب المجتمع الإسرائيلي. لقد وضعت الحركة على عاتقها مواجهة هذا المزاج السائد، وذلك من خلال «استعادة الروح الصهيونية في المجتمع الإسرائيلي».

لم يكن من المفترض لهذا التجدد أن يحدث في المؤسسات السياسية، إنما كان عليه أن يحدث في المجالات الاجتماعية

إم ترتسو": الهجوم على المجتمع المدني من بوابة تقرير غولدستون.

والثقافية، خاصة في التعليم والثقافة الشعبية: لقد دعا رونين شوفال وهو أحد المؤسسين للحركة عام ٢٠٠٨ إلى تأسيس «إعلام صهيوني، تلفزيون ومواقع إنترنت»، حيث تبنى «البيئة الملائمة لخلق وعي صهيوني». كما ركز نشاط الحركة خلال هذه السنوات على المؤسسات الأكاديمية: إحدى أهم مبادراتها كان نشر دراسة علمية للتصنيف، والتي نشرت عدد الأساتذة وموظفي الجامعات الذين يروجون في صفوفهم وأبحاثهم لـ «ما بعد الصهيونية». كما نشرت مراجعة للمناهج والبيبلوغرافيا وأنجزت تصنيفها من خلال إنشاء ثنائية بين «الصهيوني» و«ما بعد الصهيوني»، لقد نشرت «إم ترتسو» قائمة بمختلف الأكاديميين الملطخين بسمة «ما بعد الصهيونية».

يمكن النظر إلى نشاط «إم ترتسو» كذروة لأجندة اليمين الجديد، منذ أيام نتيف في التسعينيات. برفض البحث في القضايا موضوع النزاع مثل مستقبل المناطق والذي رأته كـ «صفقة منتهية»، وكقضية انتهى زمنها، استطاعت أن تسوق نفسها كتيار مركزي حقيقي، لا بل كحركة لا سياسية، ومهتمة بما يبدو أنه الروح الصهيونية. ومثلت أجندتها إعادة احياء النغمة الانتقامية، التي طورتها نتيف. إن الجديد في «إم ترتسو» كان في استخدام تلك الرسائل المقترنة بالحركة الاجتماعية والتي تركز جهودها لتغيرات اجتماعية محددة.

"إم ترتسو": التجنّد دفاعا عن الجيش والقيم العسكرتارية.

لم تصنف «إم ترتسو» نفسها أبدا كمنتمية لمعسكر الجناح اليميني. وحافظت على «وسطية» ما، وحتى على واجهة «لا سياسية»، كما أحجمت عن الخطاب الذي يمكن أن يسمها بأنها يمكن أن تكون متعاطفة مع المعتقدات الصهيونية التقليدية للجناح اليميني، بمعنى عقيدة أرض إسرائيل الكبرى. عملت الحركة في سنواتها الأولى على اختراق الطيف السياسي كلّه، وتوحيد أو ضم قوى وأشخاص وحركات من الوسط وحتى اليسار (خاصة في مجال القضايا المحلية والاجتماعية والاقتصادية). وبعكس كثير من الحركات اليمينية الجديدة في أوروبا، لم تر «إم ترتسو» نفسها كوجهة نظر أقلوية هدامة، بل كممثل حقيقي للتيار الصهيوني السائد، الذي ينتمي مناقضوه لمعسكر الأقلية الراديكالية.

صعدت حركة «إم ترتسو» نشاطها الوطني بعد الحرب على غزة عام ٢٠٠٩ . قادت عملية «الرصاص المصبوب» إلى تشكيل لجنة تحقيق من الأمم المتحدة حول قضية انتهاك حقوق الإنسان، والكلفة البشرية للعملية، نشرت هذه اللجنة التي ترأسها القاضي ريتشارد غولدستون تقريرها عام ٢٠١٠، والذي انتقد بشدة أوجهًا

عديدة لعملية الرصاص المصبوب، وذهب بعيدا في لوم الجانب الإسرائيلي وانتقاده لدرجة اعتبار أن إسرائيل ارتكبت جرائم حرب في معركة غير متكافئة. قام رموز المؤسسة الإسرائيلية بانتقاء التقرير، إضافة إلى منظمات غير حكومية فيها مثل «إم ترتسو» التي كانت حملتها الأكثر أهمية: فقد نشرت تقريرا مطولا عن نشاط منظمات المجتمع المدني الإسرائيلي التي وصمت بأنها تؤيد تقرير لجنة غولدستون، هذه المجموعة من المنظمات قامت بعمل غولدستون بقدر ما تستطيع وسهلته من خلال تزويده معلومات حساسة بخصوص الانتهاكات المفترضة لحقوق الإنسان في حملة غزة، كانت حملة المنظمات المدنية في نظر الحركة معادلة لـ«الخيانة العظمى»، تنبع من شبكة واسعة من التأثير في المجتمع الإسرائيلي، وتمول وتوجه من مصادر أجنبية، خصوصا الولايات المتحدة وأوروبا.

في بحث مطول نشر عام ٢٠١٠، تحت عنوان («إم ترتسو»– نجمة من إسرائيل، بيان لتجديد الصهيونية)، قدم رونين شوفال المعتقدات الأساسية والفلسفة التي تتبعها «إم ترتسو»، رافضا استراتيجية التركيز على الأرض مهما كان نوعها، وداعيا إلى بعث الصهيونية على قاعدة إعادة تعريف الوعي الإسرائيلي: حيث لا يشكل موضوع السيطرة على الأرض دعامة من دعائمها ولا السياسة في مفهومها الضيق، لكن دعائمها تقوم على الثقافة، الإعلام، الفن والأدب والتعليم،. إلخ. فعبر التأثير على هذه الوسائل سوف تؤثر الحركة ليس على السياسات فحسب بل على القيم الثقافية بشكل أكبر، وبهذه الطريقة سوف يتم دحض التوجهات ما بعد الصهيونية التي أصبحت متفشية في المجتمع الإسرائيلي المعاصر، وبهذا رغم ازدياد تدخلها مشاركتها في المسائل السياساتية، وخاصة حول شأن غولدستون، لم تعتنق الحركة كاملا الأجندة القائمة على قضايا الأرض من أي نوع.

يمكن النظر إلى نشاط «إم ترتسو» كذروة لأجندة اليمين الجديد، منذ أيام نتيف في التسعينيات. برفض البحث في القضايا موضوع النزاع مثل مستقبل المناطق والذي رأته كـ«صفقة منتهية»، وكقضية انتهى زمنها، استطاعت أن تسوق نفسها كتيار مركزي حقيقي، لا بل كحركة لا سياسية، ومهتمة بما يبدو أنه الروح الصهيونية. ومثلت أجندتها إعادة احياء النغمة الانتقامية، التي طورتها نتيف. إن الجديد في «إم ترتسو» كان في استخدام تلك الرسائل المقترنة بالحركة الاجتماعية والتي تركز جهودها لتغيرات اجتماعية محددة. وشكل هذا تباينا حادا مع ما يمكن تسميته الطابع المرن لمنابر اليمين الجديد السابقة، والتي كرست جهدها في بناء نخبة إسرائيلية جديدة (أو التأثير على القائم منها).

إن نجاح اليمين الإسرائيلي الجديد لا يمكن عزوه إلى عامل منفرد، إن أهمية قضايا مثل القلق المتنامي من صعود المجموعات الإسلامية الراديكالية، السياسة الاقتصادية، والضعف والارتباك السياسي لليسار من الصعب التقليل من أهميتها، حاول هذا النص أن يلقي الضوء على التطورات التي نادرا ما نوقشت في الثقافة السياسية الإسرائيلية، مثل التحولات الأيدولوجية التي حدثت في أوساط حركة المجتمع المدني غير البرلماني اليمينية في إسرائيل.

[مترجم عن الإنكليزية. ترجمة جبريل محمد]

هوامش

١ ديونيسيس هو إله الخمر عند اليونان.

٢ «إم ترتسو» هي اسم الجزء الاول من مقولة ثيودور هيرتسل «إذا أردتها، فهي ليست حلما».